الرسالة السلطانية

للإمام جلال الدين السيوطي

يا جاعل العلم له بازيا ... يصطاد أموال السلاطين
احتلت للدنيا ولذاتها ... بحيلة تذهب بالدين
أين رواياتك فيما مضى ... عن ابن عون وابن سيرين
أين رواياتك فيما مضى ... لترك أبواب السلاطين

دراسة وتحقيق

مختار الجبالي

دار وحي القلم

الرسالة السلطانية

للإمام جلال الدين السيوطي

الكتاب

الرسالة السُّلطانية

المؤلف

للإمام جلال الدين السيوطي

دراسة وتحقيق

مختـار الجبـالي

الطبعة

الأولى ٢٠٠٤

عدد الصفحات ٦٤

القياس ١٢×١٧

الناشر

دار وحي القلم

بيروت ـ لبنان ص. ب: ١١٣/٦٥٠٢

توزيع

دمشق ـ سورية ـ مكتبة وحي القلم

دمشق ص. ب: ٣٠٢٩٧ هاتف ٩٣٣٩٦٨١٨ (٠٠٩٦٣)

أشرف على الطبع والإخراج الفني

سليم محمد دولة

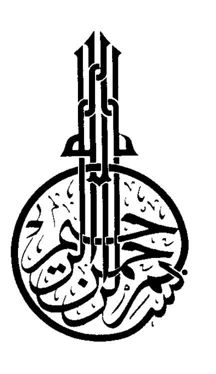
الرسالة السلطانية

للإمام جلال الدين السيوطي

دراسة وتحقيق

مختار الجبالي

دار وحي القلم



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد: فقد عظّم الإسلام شأن العلماء، وفضّلهم الله تعالى على سائر المؤمنين، وأشاد بذكرهم في كتابه الكريم، حيث قال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، قال الإمام القرطبي رحمه الله: في هذه الآية دليلٌ على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحدٌ أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء، وقال ـ في شرف العلم ـ لنبيه ﷺ: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]، فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله

تعالى نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم[1].

وقال الرسول ﷺ: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[2]. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: هذا من أعظم المناقب لأهل العلم، فإن الأنبياء خير خلق الله، فورثتهم خير الخلق بعدهم، وفي هذا تنبيه على أنهم أقرب الناس إليهم، فإن الميراث إنما يكون لأقرب الناس إلى المورِّث. اهـ[3]. والنصوص في فضل العلماء كثيرة جداً.

وهذا التكريم الكبير والمنزلة العالية التي يحظى بها العالم في الإسلام أمانة ثقيلة في عنقه، فهي تشريف وكذلك تكليف، وكلما كانت الرتبة في العلم عالية كانت

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٤/ ٤٤.

(٢) هذا جزء من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، رواه أبو داود رقم (٣٦٤١)؛ والترمذي (٢٦٨٢)؛ وأحمد: ٥/ ١٩٦. ونقل تحسينه الحافظ في الفتح: ١/ ١٦٠؛ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٦٧).

(٣) مفتاح دارة السعادة: ١/ ٢٦١.

المؤاخذة على ترك العمل به شديدة وصارمة. فعلى من أكرمه الله عزَّ وجلّ بالعلم والفقه في الدين أن يخلص في علمه، ويعمل بمُقتضاه، ويصونه على كل ما يُدنسه، فلا يتخذه سُلّماً لمقاصد خسيسة وأغراض دنيئة مثل التزلف إلى السلاطين وشراء الدنيا بالدين.

وفتنة السلطان من أعظم الفتن والبلايا التي تعرض للعالم في حياته، لذلك جاءت النصوص الشرعية وأقوال الأئمة تترى بالنهي الشديد عن الاقتراب من الحكام الظلمة، فضلاً عن مشاركتهم فيما هم فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]. قال الإمام البيضاوي رحمه الله: الركون هو الميل اليسير. أي لا تميلوا إليهم أدنى ميل فتمسكم النار بركونكم إليهم، وإذا كان الركون اليسير إلى من وُجد منه مايُسمى ظلماً كذلك، فما ظنك بالركون إلى الظالمين الموسومين بالظلم، والميل إليهم كل الميل؟![١] وإذا ابتلي العالم بهؤلاء، وتعسّر عليه الإنكار عليهم وقول كلمة الحق أمامهم، فلا ينزل عن

---

(١) تفسير البيضاوي، ص٢٥٨.

مرتبة الاستنكار القلبي والبراءة من انحرافهم واعتزالهم، وذلك أضعف الإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون من بعدي خلفاء يعملون بما يعلمون، ويفعلون مايؤمرون، وسيكون من بعدهم خلفاء يعملون بما لا يعلمون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكم من رضي وتابع!»[1].

هذا ولمّا صار الغالب على أحوال السلاطين ـ بعد عصر الراشدين ـ الكثير من المساوئ، حتى لا يكاد مخالطهم يسلم من رؤية منكر لا يستطيع له تغييراً، أو ظلم لا يستطيع له رفعاً، أو حق مسلوب لا يستطيع له رداً، اعتزل معظم العلماء الصادقين أهل السلطة أجمعين، من غير تفريق بين من قلّ جوره أو كثر، وذلك من باب الورع والاحتياط والأخذ بالأسلم وترك الشبهات.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٦٥٨)؛ والبيهقي: ٨/ ١٥٧؛ والحاكم: ١/ ٧٨؛ وصححه ووافقه الذهبي، وله شاهد عند مسلم (١٨٥٤) من رواية أم سلمة.

ولم يُرخّص بعض الفقهاء في مداخلة السلاطين إلا على سبيل النصح لهم في الدين، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نحوهم كما أمر بذلك سيد المرسلين ﷺ[1]. أما الدنو منهم مع السكوت والموافقة وربما مع التعاون على الإثم والعدوان، فهو الهلاك والخسران، فعن كعب بن عُجرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه سيكون بعدي أمراء، فمن دخل عليهم فصدّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس بوارد عليّ الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يُصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه وهو واردٌ عليّ الحوض»[2].

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: ومنْ تلبيس إبليس على الفقهاء: مخالطتهم الأمراء والسلاطين

---

(١) كما في حديث مسلم (٥٥) (الدين النصيحة) قيل: لمن يارسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»، ولكن من مِنْ أئمة المسلمين اليوم يقبل النصيحة؟!.

(٢) صححه الترمذي (٢٢٥٩)؛ وابن حبّان (٢٧٩)؛ والحاكم: ١/ ٧٩ ووافقه الذهبي وله طرق أخرى.

ومداهنتهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك، وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضاً، فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه:

الأول/ الأمير: يقول لولا أني على صواب لأنكر عليَّ الفقيه، وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من مالي.

والثاني/ العامي: أنه يقول لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله، فإن فلاناً الفقيه لا يبرح عنده.

والثالث/ الفقيه: فإنه يُفسد دينه بذلك[1].

وخلاصة القول في هذه (المسألة السلطانية) ما قرره الإمام الغزالي رحمه الله في مستهلّ باب (مخالطة السلاطين) من كتاب (الحلال والحرام) حيث قال: اعلم أن لك مع الأمراء والعمّال الظلمة ثلاثة أحوال: الحالة الأولى ـ وهي شرّها ـ أن تدخل عليهم، والثانية ـ وهي دونها ـ أن يدخلوا عليك، والثالثة ـ وهي الأسلم ـ أن تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك. اهـ[2]. وإلى هذه

---

(١) تلبيس إبليس، ص١٣٩.

(٢) إحياء علوم الدين: ٥/ ١١٢.

الحالة نحا الإمام السيوطي رحمه الله فاعتزل السلطان ـ الذي طلبه مراراً ـ وتحمّل في ذلك العديد من المضايقات والضغوط والتهديدات، ولكنه ثبت وأعلن رفضه بكلّ جرأة عبر هذه (الرسالة السُّلطانية) التي أرسلها إلى السلطان، وضمّنها ـ باختصار ـ حكم الدين في مسألة المجيء إلى السلاطين[1]. وهي ـ على صغرها ـ رسالة جليلة القدر، وجديرة بالتعريف والنشر.

والله تعالى أسأل أن يجعل لها عظيم الأثر، ويدّخر لي أجر تحقيقها ليوم الحشر. إنه هو الرحيم البرّ.



(١) قد يعترض بعضهم فيناقش هذا الموقف وينعته بالسلبي والانهزامي! فأجيبُ بأنّ اعتزال السلطان ـ الذي رجّحه هؤلاء الأعلام ـ ليس هروباً من المسؤولية، بل هو موقف ضروري بسبب غلبة الفساد، ومع أنه أضعف الإيمان، فإن هذا الاعتزال قد يُصبح نوعاً من (الإنكار العملي) الذي يُعلن العالِمُ ـ من خلاله ـ شجبه للشر ودعوته للخير.

التعريف بالمؤلِّف

اسمه ونسبه:

كنيته: أبو الفضل، ولقبه: جلال الدين، واسمه: عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد السيوطي ـ نسبة إلى سيوط أو أسيوط.

مولده ونشأته:

ولد الإمام السيوطي في القاهرة سنة تسع وأربعين وثمانمائة هجرية في بيت علم وأدب. نشأ يتيماً إذ مات أبوه وهو دون الست سنين، ومع ذلك اشتغل بطلب العلم، فحفظ القرآن الكريم وعمره دون ثمان، ثم استظهر عدداً من المتون الشرعية.

علمه وشيوخه وتلاميذه:

بلغ جلال الدّين في العلم منزلة عالية، حيث درس على خيرة مشايخ عصره أمثال: علم الدين البُلقيني وشرف الدّين المناوي، ومحيي الدّين الكافيجي، وغيرهم من الأعلام.

وتبحَّر في عدة علوم أهمّها: التفسير والحديث والفقه والنحو والبلاغة. وقد رحل المؤلف في طلب العلم إلى عدة أقطار مثل: الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب، حتى أصبح يحمل بين جنبيه (موسوعة علمية) جعلت منه بحق (مدرسة) خرّجت أجيالاً من طلبة العلم البارزين، أمثال: المؤرِّخ الدّاودي، والحافظ ابن طولون، والإمام الشعراني وغيرهم.

كثرة تصانيفه:

عُرف أبو الفضل بكثرة تصانيفه في فنون شتى من الثقافة الإسلامية، وقد بدأ التأليف في سن مبكرة، وشارك في مختلف العلوم والمعارف. وكان أول أمره شغوفاً بالتلخيص والاختصار، ثم بعد نضجه اعتنى بتحرير المسائل ونقدها حتى برزت شخصيته العلميّة المتميزة، وقد ترك لنا هذا العالم الموسوعي تراثاً ضخماً قدّره المؤرِّخ ابن إياس بنحو ستمائة مصنف، منها الكتب الكبيرة ومعظمها أجزاء ورسائل متوسطة وصغيرة. ومن بركة هذه التآليف أن طبع منها حوالي النصف، وانتشرت في سائر الأقطار والأمصار. ومن أشهرها: (الإتقان في علوم القرآن)، و(الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور)، و(الجامع الصغير)، و(تدريب

الراوي)، و(المزهر في اللغة)، و(حسن المحاضرة).

أخلاقه ومناقبه:

يُعدُّ الحافظ السيوطي من العلماء العاملين بعلمهم، فقد كان رجلا تقياً عفيفاً كريماً قنوعاً، ومحاسنه كثيرة، أبرزها ثلاث خصال: العزة والشجاعة والاستغناء عن الناس. ولمّا بلغ إمامنا الأربعين من عُمره تجرّد للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى، وشرع في تحرير مؤلفاته[١]، وكان الأمراء والأغنياء يأتون إلى زيارته، ويعرضون عليه الأموال النفيسة فيردّها، مكتفياً في نفقته بثمن ما يباع من مؤلفاته، ومُعرِضاً عن المناصب والوظائف والإغراءات الكثيرة التي قدّمها له السلاطين والكبراء. وقد رفع الله له من الذكر الحسن والثناء الجميل ما لم يكن لأحد من معاصريه.

مواقفه وخصوماته:

عاش العلامة السيوطي مغاضباً لبعض من عاصره

---

(١) كان السيوطي ـ رحمه الله ـ مفتوناً بالتصنيف ويوليه أهمية بالغة، لأن الكتاب ـ حسب قوله ـ (يُقرأ بكل مكان ويُدرس في كل زمان، فهو أبقى أثراً ويخلد بعد مؤلفه) انظر رسالته في هذا الموضوع (التعريف بآداب التأليف).

من السلاطين والعلماء والعامّة، وذلك أنّ إمامنا ـ رحمه الله ـ كان مُعتدّاً بنفسه، أبياً، لا يرى في معاصريه نداً له[1].

وقد عُرف ـ أثابه الله ـ بمواكبته لأحداث عصره ـ كما يُقال ـ حيث كان يُتابع أحوال أمته ولا يتخلف عن نصرة الحق فيها والتصدي لردّ الشبهات التي تُثارُ حول دينها بالخصوص.

وكل هذه العوامل ساهمت في إثارة عديد المشاكل في وجهه، وكذلك في تأليب الخصوم عليه[2].

---

(١) وضع الإمام الذهبي في (السير): ١٨/ ١٥٧ قاعدة ذهبية تقول: «كلّ أحد يُؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ، ولكن إذا أخطأ إمام في اجتهاده، لا ينبغي لنا أن ننسى محاسنه، ونغطي معارفه، بل نستغفر له، ونعتذر عنه».

(٢) ربما بالغ السيوطي ـ غفر الله لنا وله ـ في الإشادة بنفسه، حيث ادعى الاجتهاد المطلق، واعتقد أنه مجدد الدّين في المائة التاسعة، ولكن إذا تأملنا حالة الجمود والتعصب والتخلف التي رانت على الأمة في القرون الأخيرة عرفنا سرّ الهجمة الشرسة التي استهدفت هذا العالم أو غيره من المجتهدين المصلحين أمثال علامة الأندلس ابن حزم وشيخ الإسلام ابن تيمية والإمام الشوكاني وغيرهم من المجددين رحمهم الله. وقد جرت سنة الله عزَّ وجلَّ برفع من عودي بسبب علمه وصدعه بالحق، وانتشار محاسنه بعد موته، وارتفاع ذكره، وانتفاع الناس بعلمه. وهذا ما كان من أمر الإمام السيوطي رحمة الله عليه.

ورغم اشتداد المحن لم يتراجع السيوطي عن الصدع برأيه وإقامة الحجة على المخالفين، وأقدم بكل شجاعة على تصنيف الكثير من المؤلفات في شكل (رُدُود) تحوي الكثير من العلم النافع مع ما فيها من غلظة قول، وسلاطة لسان، وحدة طبع في الغالب.

ومن أمثلة هذه الردود: كتاب (مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة) وجزء (الحبل الوثيق في نصرة الصديق) ألفهما السيوطي ردًّاً على أحد الأمراء المارقين، حيث تجرّأ على الطّعن في سنة النبي ﷺ والتقوّل على أبي بكر الصدّيق ﷺ، وكتب كذلك (تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء) للرّد على من أساء الأدب مع الأنبياء، وصنف كتاب (تحذير الخواص من أكاذيب القصّاص) للتصدي لمروّجي الأحاديث الموضوعة والأخبار الباطلة، وأجاب من نفي (دعوى الاجتهاد المطلق) التي أعلنها بكتاب سمّاه (الرّد على من أخلد إلى الأرض وجهل أنّ الاجتهاد في كل عصر فرض) .. إلى غير ذلك من الردود العلمية. وهذا غيض من فيضِ نشاط الحافظ السيوطي العلمي، وقبس من جهوده في هذا الباب.

مرضه ووفاته:

اعتزل الإمام السيوطي الناس، واعتكف في بيته مُتَجَرِّداً للعبادة ومنشغلاً بالعلم والتحقيق والتصنيف إلى أن أصابه مرض بذراعه استمرّ به سبعة أيام وانتهى بوفاته في سحر ليلة الجمعة / تاسع عشر / جمادى الأولى / سنة إحدى عشرة وتسعمائة في منزله بروضة المقياس بالقاهرة، وله من العمر إحدى وستين سنة وعدة أشهر. رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأحسن إليه، وجزاه عن العلم وأهله خير الجزاء[1].



(١) ترجم المؤلف ـ رحمه الله ـ لنفسه في كتابيه (التحدث بنعمة الله)؛ و(حسن المحاضرة): ١/ ٣٣٥، ومن الذين أفردوه بترجمة مستقلة تلميذه عبد القادر الشاذلي في كتاب سمّاه (بهجة العابدين بترجمة الحافظ جلال الدين)؛ وانظر كذلك: بدائع الزهور لابن إياس: ٤/ ٨٣؛ والكواكب السائرة: ١/ ٢٢٦ لابن الغزي؛ وشذرات الذهب للحنبلي: ٨/ ٥١؛ والبدر الطالع للشوكاني: ١/ ٣٢٨؛ والأعلام للزركلي: ٤/ ٧١.

التعريف بالرسالة

سبب وتاريخ كتابتها:

ذكر بعض المؤرِّخين[1] أنّ السلطان (قايتباي)[2] مرضَ مرضاً شديداً أشرف منه على الموت، وبعد شفائه طلع له أهل العلم وغيرهم لتهنئته بالسلامة، إلا الإمام السيوطي، فلم يطلع إليه، فأرسل له السلطان قاصده

---

(١) مثل الشعراني في (ذيل لواقح الأنوار)؛ والشاذلي في (بهجة العابدين)؛ وانظر في ذلك دراسة الدكتور محمد عزّ الدّين لكتاب المؤلف (كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة)، ص١٥ فما بعدها.

(٢) هو سلطان الديار المصرية، أبو النصر سيف الدين قايتباي من ملوك الجراكسة، كان من المماليك وترقى في سلك الجيش إلى أن بوُيع بالسلطنة فتلقب بالملك الأشرف. كان شجاعاً شديد الاعتناء بجيوشه وله اشتغال بالعلم، وكان مُحبّاً للعمارة حيث بنى ورمم كثيراً من المساجد والمدارس والحصون، وكانت مدّته حافلة بالعظائم والحروب. توفي بالقاهرة سنة ٩٠١هـ. انظر (بدائع الزهور) لابن إياس: ٢/ ٩٠ ـ ٣٠٣؛ و(الأعلام) للزركلي: ٥/ ١٨٨؛ و(تاريخ مصر): ١/ ٢٤٦.

يطلبه ـ في مستهل سنة إحدى وتسعمائة ـ فأبى ، فأوقد (ابن الكركي)[1] ـ إمام السلطان ـ عليه النار ، وقال : «هذا عاص لله ورسوله في عدم إجابة ولي الأمر»[2] .
فأرسل السلطان بعد مدة قاصده إلى السيوطي يخوِّفه في أمور يوقعها به ، فلم يسمع لأمره ، ولم يخضع لتهديده ،

---

(١) هو برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن المعروف بابن الكركي تتلمذ على أعلام عصره ، وتمكن بفضل فصاحته وذكائه وحذاقته للسان التركي ونسبته إلى الجراكسة من مداخله كبار الأمراء والأعيان وصحب الأشرف قايتباي أميراً وسلطاناً حتى أصبح من أقرب المقربين لديه ، ونال حظوة كبيرة عنده وتولى أرفع المناصب ، ومنها قضاء الحنفية بالقاهرة ، وقد كان لابن الكركي هذا اليد الطولى في تأليب السلاطين والعلماء والعامة على الإمام السيوطي ، ثم تغيرت أحواله ونكب عدة نكبات وهُوجم بيته ونُهب ، وعُزل عن القضاء واستمرّ معزولا إلى أن هلك غريقاً حيث زلق إلى بركةٍ تحت منزله وذلك سنة ٩٢٢هـ . ترجمته في بدائع الزهور: ١٠٨/٣ ؛ وشذرات الذهب: ١٠٢/٨ .

(٢) ما أكثر علماء السوء في هذا العصر ، الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم ، فتراهم يحلِّلون الحرام ، ويحرِّمون الحلال ، ويُصدرون (الفتاوى تحت الطلب) إرضاء لساداتهم وكبرائهم الذين جعلوهم في مقام الرب ! ! .

وردّ قاصده ثانية، فاستفتى السلطان (قايتباي) المشايخ وقد طلعوا إليه في مستهل ربيع الأول لتهنئته بالشهر، فأفتوْا بأن دخول العلماء للملوك (سُنَّة) السلف الصالح، معارضين الإمام السيوطي في دعواه. فما كان منه ـ رحمه الله ـ إلا أن صعّد في المواجهة، فعَزَلَ نفسه من سائر الوظائف التي لهم عليها ولاية، وألف كتابه (ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين)[1] فلما بلغ السلطان ذلك شقّ عليه، وأرسل إليه في رجب بكلام طيب، طالباً منه الطلوع إليه فلم يُجبه لذلك، مكتفياً بمراسلته برسالة أسماها (الرسالة السلطانية) ـ هذه ـ وقد ضمّنها جملة من الأحاديث والآثار التي تنهى العلماء عن التردّد إلى السلاطين. فصار (قايتباي) يتوعده، وواصل (ابن الكركي) إثارة الفتنة ضدّه.

وعبثاً حاول قاضي القضاة الشافعي إقناع السيوطي بتطييب خاطر السلطان عليه، قائلا: «لا بأس أن تتلافى خاطر السلطان بإرسال كلام طيب، فإننا

(١) صدر عن (دار ابن حزم) سنة ١٤١٣هـ بتحقيق أخي الفاضل المحقق أبي علي طه بوسريح.

نخاف عليك»، فما كان جواب الإمام جلال الدّين إلا أن قال: «إنني متمسك بقوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق منصورين حتى يأتي أمر الله، لا يضرهم من خذلهم»[1].

وصدق رسول الله ﷺ، فقد نصر الله ـ عبده ـ السيوطي، ونجّاه من شرِّ السلطان، الذي مرض بعد يومين، واشتدّ مرضه إلى أن هلك، وذلك في شهر ذي القعدة من نفس السنة.

---

(١) رواه البخاري (٧٣١١)؛ ومسلم(١٩٢٠)؛ وأبو داود(٢٤٨٤)؛ والترمذي(٢٢٢٩) وابن ماجه(٦) وغيرهم، والحديث مستفيض عن جماعة من الصحابة، حتى عدّه بعض العلماء من المتواتر مثل ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم، ص٦؛ والسيوطي في قطف الأزهار (٨١)؛ والكتاني في نظم المتناثر (١٤٥) وذكر له ستة عشر راوياً. وقال النووي في شرحه: ٦٧/١٣: يحتمل أنّ هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين: منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدِّثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض. اهـ.

وهكذا خلّد الإمام السيوطي ـ رحمه الله ـ ذكره بهذا الموقف المشرّف، والتحق بقائمة الأئمة الشجعان أمثال: سعيد بن المسيّب، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وسفيان الثوري، وابن أبي ذئب، وسلمة بن دينار والعزّ بن عبد السلام... وغيرهم ـ رحمهم الله ـ أولئك العلماء الأبطال الذين صانوا العلم وشرّفوا الإسلام.

وصف الأصل المخطوط:

بتوفيق من الله تعالى حصلت ـ في تحقيق هذه الرسالة ـ على نسختين خطيّتين محفوظتين بدار الكتب الوطنية بتونس:

ـ **الأولى**: توجد ضمن مجموع كبير يضم عدة أجزاء ورسائل للإمام السيوطي تحت رقم (١١٣٢٨)، وتقع فيه (الرسالة السلطانية) على اللوحة رقم (١٤) وهي في صفحة ونصف، بمقياس (١٩,٥× ٢٩,٥) سم، ومسطرتها حوالي (٣٨) سطراً، ومتوسط الكلمات حوالي (١٥) كلمة في كل سطر، وهي بخط تونسي/ مغاربي حسن ودقيق، وكتبت المهمات فيها بالحُمرة.

وقد خلت هذه الرسالة مثل بعض الرسائل

الأخرى من تاريخ نسخها، غير أنّ معظم الكتب والرسائل المجاورة لها في نفس المجموع رُسِمَ في آخرها أنها حرّرت في سنة (١٠٥٧) من الهجرة النبوية على يد نفس الناسخ/ علي بن محمد الطيب الزّين رحمه الله.

وقد رمزتُ إلى هذه النسخة بالحرف (أ) وجعلتها أصلا لِقدمها وكثرة مادتها، وقلّة أخطائها.

ـ **الثانية**: هي الرسالة رقم (١٣) ضمن مجموع مماثل للإمام السيوطي رقم (٨٨٦٣) تبدأ من اللوحة (٦١/ ب) إلى اللوحة (٦٣/ أ) بمقياس (١٧× ١١) سم ومسطرتها حوالي ٢٤ سطراً، ومتوسط الكلمات فيها حوالي (١٠) كلمات في كل سطر. وهي بخط تونسي كالأولى.

وقد وقع الفراغ من نسخها يوم الواحد والعشرين من شوّال من عام (١١٢٦هـ) على يد/ أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني التميمي رحمه الله. وقد رمزتُ إلى هذه النسخة الثانية بالحرف (ب).

طريقة التحقيق:

يتلخص عملي في تحقيق هذه الرسالة الصغيرة في

النقاط التالية :

- ضبط النص وتصحيحه بالمقابلة بالنسخة الثانية للمخطوط مع الاستفادة كذلك من الأصل المطبوع[1]، وما أضفتهُ من النسخة (ب) جعلته بين قوسين معقوفين دون الإشارة إلى ذلك في الغالب .

- تقسيم الرسالة إلى فقرات مرقمة بالتسلسل ليسهل ضبطها .

- تخريج الأحاديث النبوية والآثار بأرقامها اختصاراً .

- شرح بعض الكلمات الغريبة التي تحتاج إلى توضيح .

- وضع تراجم للأعلام الذين يحتاجون إلى تعريف .

- كتابة مقدمة في شكل دراسة مع التعريف بالمؤلف والرسالة .

---

(١) أعني كتاب السيوطي سالف الذكر (ما رواه الأساطين) الذي يُعتبر أصلا لهذه الرسالة .

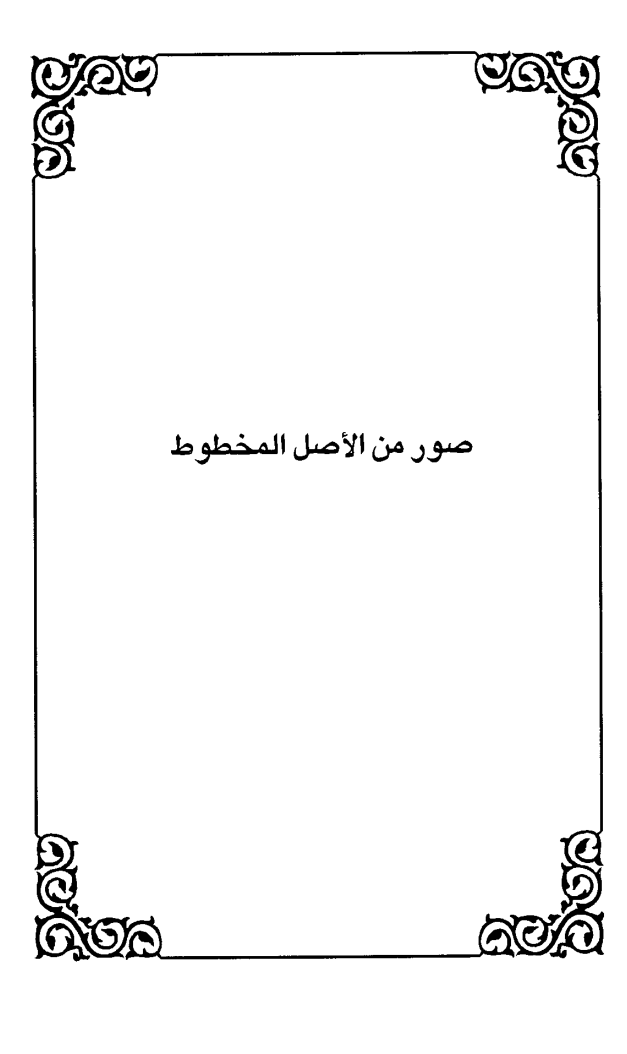
صنع فهارس علمية للأحاديث والآثار والمصادر والمراجع .

والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أبو عبد الله مختار الجبالي

٣ صفر ١٤٢٣هـ - ١٦/ ٤/ ٢٠٠٢م





صور من الأصل المخطوط

الصفحة الأولى من نسخة المخطوط (أ)

قال لا يلقين رجل منكم شيئاً في يد السلطان . [illegible] البيهقي عن محمد بن واسع [illegible] شبه القراء
منهم من الرقى من الشيطان . [illegible] البيهقي عن الفضيل بن عياض [illegible] كنا نتعلم اجتناب السلطان
كما نتعلم سورة من القرآن . [illegible] البيهقي عن سفيان الثوري قال إذا رأيت القاري يلوذ
بالسلطان فاعلم أنه لص وإياك أن تخدع فيقال لك ترد مظلمة تدفع عن مظلوم فإن هذه
خدعة إبليس اتخذها القراء سلماً . [illegible] البيهقي عن ابن شهاب قال سمعت سفيان الثوري
يقول [illegible] الذي عليهم [illegible] ابن شهاب من تعني قال السلطان وأخرج
الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال [illegible]
[illegible] وإنما أعرف الحزن في وجهه فآخذ بلحيته فقال إنا لله وإنا إليه راجعون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
البيهقي عن سفيان الثوري قال إن في جهنم لوادياً تستعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده
الله للقراء الزائرين للسلطان [illegible]
السلطان [illegible]
العلماء [illegible] وروينا عن عبد الله بن المبارك أنه بلغه
أن ابن علية اتصل بالسلطان فكتب إليه يقول
يا جاعل العلم له بازياً [illegible] يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها [illegible] بحيلة تذهب بالدين
[illegible] عن ابن عون وابن سيرين
[illegible] في هذا الكتاب [illegible]
[illegible] كتابه
والله أعلم
بالصواب

الصفحة الأخيرة من نسخة المخطوط (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

الرسالة السلطانية للإمام جلال الدين الأسيوطي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به آمين يا رب العالمين

قال قدس الله تعالى سره ونفعنا به وبعلمه

الصفحة الأولى من نسخة المخطوط (ب)

الصفحة الأخيرة من نسخة المخطوط (ب)

الرِّسَالَةُ السُّلْطَانِيَّةُ

لِلإِمَامِ جَلَالِ الدِّينِ السُّيُوطِيِّ

كتبها لما استدعاه الملك الأشرف قايتباي للتردد إليه، وامتنع من ذلك، ووشى به بعض أعدائه عنده، وادَّعوا أنه لا مستند له في الامتناع من الاجتماع بالسلطان، فأرسلها إليه فترك طلبه، وهي منتقاة من كتابه الكبير في ذلك ونحوه.

دِرَاسَة وتحقيق

مختار الجبالي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

نصّت [العلماء][1] والأئمة على أنّ السنة للعلماء أن لا يتردّدُوا إلى الملوك، فإنّ الأحاديث ورَدت عن النبي ﷺ بالنهـي عن ذلك، وذمّ من فعلـه من العلماء منها:

١ ـ ما أخرجه أبـو داود، والترمـذي وحسّـنه، والنسائي، والبيهقي في (شعب الإيمان) عن ابن عبّاس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَن سَكَنَ[2] البادية جَفا، ومن اتبَعَ الصّيدَ غفَل، ومن أتى أبْوابَ السُّلطان افتْتِن»[3].

---

(١) زيادة من النسخة (ب).

(٢) في المخطوطتين [اتبع] والتصحيح من الأصل المطبوع وكتب السنة.

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٥٨٥٩)؛ والترمذي (٢٢٥٦)؛ والنسائي:

٢ ـ وأخرج الإمام أحمد في (مسنده)، وأبو داود، والبيهقي بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَتَى أَبْوابَ السُّلطان افتُتن، وَمَا ازْدَادَ أَحَدٌ مِنَ السُّلطان قُرباً إلا ازدَادَ مِنَ اللهِ [تعَالى] بُعداً»[١].

= (٤٣٠٩)؛ والبيهقي في (الشعب) (٩٤٠٢)؛ وأحمد: ١/ ٣٥٧؛ وصححه الألباني في (صحيح الجامع) (٦٢٩٦).

* قال المناوي في (فيض القدير): ٦/ ١٨٩: (من سكن البادية جفا) أي غلظ قلبه وقسا، فلا يرق لمعروف كبر وصلة رحم لبُعده عن العلماء، وقلة اختلاطه بالفضلاء، فصار طبعه طبع الوحش. ونقل عن الحافظ ابن حجر في معنى قوله ﷺ (من اتبع الصيد غفل): يُكرهُ ملازمة الصيد والإكثار منه لأنه قد يُشغل عن بعض الواجبات وكثير من المندوبات. وقال المناوي في معنى أبواب السلطان افتتن): لأنه إن وافقه في مَرَامِهِ فقد خاطر بدينه، وإن خالفه فقد خاطر بروحه، ولأنه يرى سعة الدنيا فيحتقر نعمة الله عليه، وربما استخدمه فلا يسلم من الإثم في الدنيا والعقوبة في العقبى. اهـ.

(١) رواه أحمد: ٢/ ٣٧١ ـ ٤٤٠؛ وأبو داود (٢٨٦٠)؛ والبيهقي في (السنن الكبرى): ١٠/ ١٠١، وفي (الشعب) (٩٤٠٤) وصحّحه الألباني في (الصحيحة) (١٢٧٢) و (صحيح الجامع) (٦١٢٤).

٣ ـ وأخراج ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِنْ أبْغَض القرَّاءِ إلى اللهِ [تعالى] الذين يَزُورونَ الأُمَرَاء»[١].

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٥٦) بلفظ (تعوّذوا بالله من جُبّ الحزن) قالوا يارسول الله! وما جُبُّ الحزن؟ قال: (واد في جهنم تتعوّذ منه جهنم كلَّ يوم أربعمائة مرّة) قالوا: يا رسول الله! ومن يدخله؟ قال: (أُعدَّ للقرّاء المرائين بأعمالهم، وإنّ من أبغض القرّاء إلى الله الذين يزورون الأمراء). وهو ضعيف، ضعفة ابن عدي في (الكامل): ٥/ ١٧٢٧؛ وابن الجوزي في (العلل) (٢٠٥) وكذلك الألباني في (ضعيف ابن ماجه) (٥٢).
* القُرّاءُ = جمع قارئ، وقد عُرفوا على عهد النبي ﷺ بحفظ القرآن والتفقه فيه حتى صاروا من أهل العلم.
قال الغزالي في (الإحياء): ٥/ ١٢٧: إنما ذكر (القرّاء)، لأنهم كانوا هم العلماء، وإنما كان علمهم بالقرآن ومعانيه المفهومة بالسنة وما وراء ذلك من العلوم فهي محدثة بعدهم. وهذا ما أكده ابن تيمية في (الاستقامة): ١/ ٣٢٨ بقوله: القراء هم جنس العلماء والعبّاد، ويدخل فيهم من تفرّع من هذه الأصناف من المتكلمة والمتصوفة وغيرهم. اهـ. ثم بعد ظهور التخصص في العلوم الإسلامية، اصطلح الناس على تخصيص (القرّاء) بمن يتقن التلاوة على القراءات فحسب، وقد عقد ابن الجوزي في كتابه (تلبيس إبليس) فصلاً في (تلبيسه على القرّاء) حيث ذمّ =

٤ ـ وأخرج ابـن لال(١) عن أبي هريـرة رضي الله عنه[قال: قال رسول الله ﷺ]: «إنَّ أبْغَضَ الخَلْق إلى اللهِ

= اشتغال بعضهم بالقراءات الشاذة عن معرفة فرائض الدّين، والتباهي بقراءة الألحان وعدم التأدب بآداب القرآن. اهـ.
قلت: وبعد الاستقراء يمكن القول أن (القرّاء) تسمية اختص بها ـ في الأصل ـ أهل القرآن، ثمَّ تُوُسع في استعمالها حتى أصبحت تشمل الفقهاء والنُّسّاك، و(الشخصيات الدينية) عموماً. وإذا أطلقت في سياق الذم ـ كما في حديث (أكثر مُنافقي أمتي قُرّاؤها) [صحيح الجامع: ١٢٠٣] ـ فالمقصود بها: تلك الفئة الزائغة من قارئي القرآن أو مُتحلي العلم، أو من يدَّعون الزهد والصلاح في الدّين دون العمل به والتزام حدوده والتأدب بآدابه، حيث يغلب عليها حب الدنيا والنفاق العملي والحرص على التزلف إلى أصحاب النفوذ. فالقرّاء إذاً صنفان: طيب وخبيث، كما قال سفيان الثوري [الحلية: ٧/ ٥]: لله قرّاء، وللشيطان قرّاء. وصنفان إذا صلحا صلح الناس: السلطان والقرّاء. اهـ والله تعالى أعلم.

(١) هو أبو بكر أحمد بن علي الهمذاني الشافعي، حافظٌ وفقيهٌ، كان ورعاً مُتعبداً، وله مصنفات في علوم الحديث منها كتابي (السنن) و(معرفة الصحابة) غير أنه كان مشهوراً بالفقه، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٣٩٨هـ ـ ترجمته في: السير: ١٧/ ٧٥؛ والشذرات: ٣/ ١٥١.

[تعالى] العالِمُ الذِي يزُورُ العُمَّال»[1].

٥ ـ وأخرج الدّيلمي في (مسند الفردوس) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رَأيْتَ العَالِمَ يُخَالِطُ السُّلطانَ مُخَالَطَة كَثِيرة فاعْلَمْ أنَّهُ لِصّ»[2].

٦ ـ وأخرج ابن ماجه بسندٍ رجاله ثقات عن ابن عبّاس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إنّ أُناساً من أُمَّتِي

---

(١) أشار المؤلف إلى ضعفه في (الجامع الصغير) وقال المناوي في (التيسير): ١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦: أخرجه ابن لال وكذا الديلمي وهو ضعيف لضعف محمد بن السيّاح. وحكم عليه الألباني بالوضع في (ضعيف الجامع) (١٣٥٧).

(٢) أخرجه الدّيلمي في (فردوس الأخيار) (١٠٧٧) وحسنه المؤلف في (الجامع الصغير)وجوّد إسناده المناوي في شرحه (الفيض): ١/ ٤٤٦، وضعفه الألباني في (ضعيف الجامع) (٥٠٠). ومعنى (لص) أي سارق يحتال على اقتناص الدنيا وجذبها إليه من الحرام والطرق غير الشرعية، قال المناوي: ١/ ٤٤٥: من لم يحتم من المنهيات لم ينفعه التداوي بالمأمورات، فهؤلاء خدموا العلم دهرهم، وصاموا نهارهم، وقاموا ليلهم، وأتو بالحسنات كالجبال، لكنهم تلطّخوا بالأقذار لمّا لم يتجمّعُوا عن التردّد على أبواب الظلمة لينالوا من دنياهم التي نهوا عن زهرتها، فلم ينفعهم الدواء. اهـ.

سيتفقَهُونَ في الدّين، ويَقْرَءُونَ القرآن، ويَقُولون: نَأْتِي الأمراء فَنُصِيبُ من دُنْيَاهِم ونَعْتَزِلُهُم بديننا، ولا يَكُونُ ذلـك، كما لا يُجتَنَى مِنَ القَتَادِ إلا الشوك، كذلـك لا يُجْتَنَى من قُرْبِهِم إلا الخطايا»[1].

٧ ـ وأخرج الطبراني في (الأوسط) بسندٍ رجاله ثقات عن ثوبان رضي الله عنه ـ مَوْلى رسول الله ﷺ ـ قال: قلت: يا رسول الله: أمِنْ أهْلِ البَيْتِ أنا؟ فسكتَ، ثمّ قال في الثالثة: «نَعَمْ مَا لَمْ تَقُمْ على بَاب سُدّة، أو تَأْتِي

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٥٥) وفي آخره (كذلك لا يُجتنى من قربهم إلا). قال محمد بن الصبّاح: كأنهُ يعني: الخطايا. وهذه الكلمة الأخيرة ليست من نص الحديث بل هي تفسير من الرواي، والغريب كيف سهى الحافظ السيوطي عن هذا الإدراج في المتن سواء في رسالته هذه أو في أصلها الكبير، ص٣٨ أو في جامعه الصغير! والحديث إسناده ضعيف فقد ضعفه الحافظ البوصيري في (الزوائد) وكذا الألباني. انظر (مشكاة المصابيح): ١/ ٨٧. و(القتاد): نبات صلب له شوك كثير كالأبر. وفي المثل (دونه خرط القتاد) يُضْربُ للأمر الصعب الذي لا يُنالُ إلا بمشقة عظيمة حتى يكادُ يكون مستحيلاً. وفي الحديث: تنبيه على استحالة الانتفاع من مخالطة الحكام مع السلامة من الإثم: كما يستحيل الانتفاع بالقتاد دون التضرر بشوكه. والله أعلم.

أميرا تسأله»[١].

قال الحافظ المنذري في (الترغيب والترهيب): المراد بالسدّة هنا: باب سلطان ونحوه[٢].

٨ ـ وأخرج البيهقي عن رجل من بني سليم قال: قال رسول الله ﷺ: «إيّاكم وأبوابَ السُّلطان»[٣].

٩ ـ وأخرج الدارمي في (مسنده) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «من طلب العلم لأربع دخل النَّار:

---

(١) قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) ٦/ ١٧٣: رواه الطبراني في (الأوسط) ورجاله ثقات.

(٢) (الترغيب والترهيب): ٣/ ١٩٦؛ وقال المنذري في شأن الحديث كذلك (رواته ثقات) وهذا الاصطلاح لا يُفيدُ صحّة الحديث فقد يكون رواة الحديث كذلك ولكن في السند علة توجب ضعفه. انظر للمزيد(صحيح الترغيب): ١/ ٤٣ للألباني.

(٣) أخرجه البيهقي في (الشعب) رقم (٩٤٠٥)؛ وقال فيه الهيثمي في (مجمع الزوائد): ٥/ ٢٤٩؛ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في (الصحيحة) (١٢٥٣) وأشار إلى أن رواي الحديث المُبْهَم هو: الصحابي أبو الأعور عمر بن سفيان السُّلمي.

ليُبَاهِي[1] به العلماء، أو يُماري به السفهاء، أويَصْرِفَ بهِ وُجُوه النّاس إليه، أو يأخُذَ به منَ الأمراء»[2].

١٠ ـ وأخرج العُقيلي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العُلَمَاءُ أُمنَاءُ الرّسُل على عِبَادِ الله مَا لم يُخالِطوا السّلطان. فإذا فعَلُوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزِلوهم»[3].

---

(١) في الأصل (ليُضاهي) والتصحيح من (ب).

(٢) (مسند الدارمي) رقم (٣٧٩) بسندٍ ضعيف، وذكر محققه حسين أسد أن لهذا الأثر شواهد، يعني يُتقوى بها. وقد ثبت هذا حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ دون الجملة الأخيرة التي أوردها المؤلف. انظر (صحيح الجامع) (٦٣٨٢) و(٦٣٨٣).

(٣) زاد المؤلف نسبته في الأصل ص٤٣ للحسن بن سفيان في(مسنده)؛ والحاكم في (تاريخه)؛ وأبي نُعيم في (الحلية)؛ والديلمي في (مسند الفردوس)؛ والرافعي في (تاريخه). وأخرجه ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) رقم (١١١٣) ونسبه كذلك للعقيلي، وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع كما في (تلخيص الموضوعات) للذهبي (١٦٧)؛ فتعقبه السيوطي في (اللآلىء): ١/ ٢٠١ بأنّ (للحديث شواهد بمعناه كثيرة صحيحة وحسنة فوق الأربعين، يُحكم له على مقتضى صناعة الحديث بالحُسن، والله أعلم). وضعفه الألباني في (ضعيف الجامع) (٣٨٨٣).

١١ ـ وأخرج العسكري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الفقهاءُ أُمناءُ الرُّسُلِ مَا لَمْ يَدْخُلُوا في الدُّنيَا ويَتبعُوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم»[١].

١٢ ـ وأخرج أبو نعيم في (الحلية) عن جعفر بن محمد الصادق[٢] قال: «الفقهاءُ أُمناءُ الرُّسُلِ، فإذا رأيتم الفقهاء قد رَكَنُوا إلى السلطان فاتهمُوهُم»[٣].

١٣ ـ وأخرج الديلمي عن معاذ بن جبل رضي الله

---

(١) عزاه السخاوي في (المقاصد الحسنة) رقم (٧٤٦) كذلك للعسكري، وضعّفهُ، وكذا الزرقاني في (المختصر) (٦٩٣)؛ والألباني في (ضعيف الجامع) (٤٠٣٢).

(٢) هو الإمام الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. ولد سنة ثمانين بالمدينة، ورأى بعض الصحابة، حدث عنه كبار الأئمة مثل سفيان ومالك وشعبة وأبي حنيفة وغيرهم، عُرف بصلاحه وحكمته وكرمه. تُوفي رحمه الله سنة ١٤٨هـ ترجمته في (الحلية): ٣/ ١٩٢؛ و(السير): ٦/ ٢٥٥؛ و(صفة الصفوة): ٢/ ٩٨.

(٣) هو كذلك في (الحلية): ٣/ ١٩٤؛ و(سير أعلام النبلاء): ٦/ ٢٦٢.

عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عالم أتى صاحب سلطان طَوْعاً، إلاَّ كان شريكه في كلّ لَوْن يُعذَّبُ به في نار جهنّم»(١).

١٤ ـ وأخرج الديلمي عن عمر [بن الخطاب] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله يُحب الأمراء إذا خالطوا العُلماء، ويَمقتُ العُلماء إذا خالطوا الأمراء، لأنّ العلماء إذا خالطوا الأمراء رَغِبوا في الدّنيا، والأمراء إذا خالطوا العلماء رَغبوا في الآخرة»(٢).

١٥ ـ وأخرج ابن أبي شيبة في (مصنفه) عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه قال: «[ألا] لاَ يَمْشِيَنَّ رَجُلٌ منكم شِبْراً إلى ذي سُلطان»(٣).

---

(١) عزاه السخاوي كذلك في (المقاصد) (٩٨٣) للديلمي وضعفه، وكذا الألباني في (ضعيف الجامع) (٥١٩٣) وعزاه للحاكم في (تاريخه).

(٢) هو كذلك في (مسند الفردوس) (٥٦٦) بلفظ: (إنّ الله عز وجل يحبُ. . . وإنّ الله تعالى يمقت) وعزاه لهُ السخاوي كذلك في (المقاصد) ص٦٩٨.

(٣) لم أجد هذا الأثر في (المصنف) الذي بين أيدينا، لا في الفهارس ولا في مظانه مثل (كتاب الأمراء/ وما ذكر في الدخول عليهم)=

١٦ ـ وأخرج البيهقي عن محمد بن واسع[١] قال: «سَفُّ التّراب خير من الدُّنُوِّ من السلطان»[٢].

١٧ ـ وأخرج البيهقي عن الفضيل بن عياض[٣]

= من الجزء السابع وغيرهم من الأبواب! فالله أعلم به.

(١) هو الإمام الرباني أبو بكر البصري، أحد أعلام التابعين. كان عابداً صالحاً زاهداً. قال سليمان التيمي: ما أحدٌ أحبُّ أن ألقى الله بمثل صحيفته مثل محمد بن واسع. ولمّا صاف الفاتح قتيبة بن مسلم ـ والي خُراسان ـ لمحاربة الترك و هاله أمرهم، سأل عن محمد بن واسع فقيل: هو ذاك في الميمنة جامحٌ على قوسه يُبصبص بإصبعه نحو السماء ـ أي يدعو ـ فقال: تلك الأصبع أحبُّ إليّ من مئة ألف سيف. ومن أقواله: لو كان للذنوب ريح ما جلس إليّ أحدٌ. تُوفي رحمه الله سنة ١٢٣هـ ـ ترجمته في: الحلية: ٢/ ٣٤٥؛ والسير: ٦/ ١١٩؛ وصفة الصفوة: ٣/ ١٥٢.

(٢) (شعب الإيمان) رقم (٩٤٢٩).

(٣) هو الشيخ القدوة أبو علي التميمي الخراساني، وُلد بسمرقند، وارتحل في طلب العلم، حدّث عنه: ابن المُبارك ويحيى القطان وابن عُيينة والشافعي وخلقٌ كثير. انتقل إلى مكة وجاور بالحرم إلى أنْ مات بها سنة ١٨٧هـ. كان فاضلاً عابداً ورعاً، وله حكم غزيرة. انظر ترجمته في: الحلية: ٨/ ٨٤؛ والسير: ٨/ ٤٢١؛ والشذرات: ١/ ٣٦١.

قال: «كُنَّا نَتعَلم اجتناب السُّلطان كما نتعلمُ سُورَةً مِنَ القُرْآن»[1].

١٨ ـ وأخرج البيهقي عن سفيان الثوري[2] قال: «إذا رَأيْتَ القارئَ يَلُوذ بالسُّلطان، فاعلم أنّهُ لِصٌّ، وإيّاكَ أن تُخْدَعَ فيُقالُ لكَ: تَرُدُّ مَظلمة، تَدفعُ عن مظلوم، فإنّ هذه خدعة إبليس اتخذها للقرّاء سُلّماً»[3].

---

(١) (شعب الإيمان) رقم (٩٤١٧).

(٢) الإمام سفيان بن سعيد الثوري ـ نسبة إلى ثور ـ أحد الأئمة الأعلام من أتباع التابعين، اتفق العلماء على وصفه بالبراعة في العلم والحديث والفقه والورع والزهد والشجاعة والقول بالحق وغير ذلك من المحاسن الكثيرة، وهو أحد أصحاب المذاهب المتبوعة. توفي رحمه الله بالبصرة متوارياً من السلطان سنة ١٦١هـ.
انظر: طبقات ابن سعد: ٦/ ٣٧١؛ والسير: ٧/ ٢٢٩؛ والفكر السامي: ١/ ٣٦٨.

(٣) (شعب الإيمان) رقم (٩٤١٩). قال ابن الجوزي في (تلبيس إبليس) ص١٣٩: وقد لبس إبليس عليهم ـ أي الفقهاء ـ في الدخول على السلطان، فيقول [أحدهم]: إنما ندخل لنشفع في مسلم! وينكشف هذا التلبيس بأنه لو دخل غيره يشفع لما أعجبه ذلك، وربما قدح في ذلك الشخص لتفرّده بالسلطان. اهـ. =

١٩ ـ وأخرج البيهقي عن ابن شهاب[١] قال:

= وذكر في (صيد الخاطر) ص٩٤ أن (أعجب مصايد إبليس يصيد بها العلماء: أن يقول للعالم ادخل على هذا الظالم فاشفع في مظلوم، فيستعجل الداخل رؤية المنكرات، ويتزلزل دينه. وربّما وقع في شرك صار به أظلم من ذلك الظالم. ثمّ من تأمل العلماء الذين يعملون لهم في الولايات يراهم منسلخين من نفع العلم قد صاروا كالشُرط. فليس إلا العزلة عن الخلق، والإعراض عن كل تأويل فاسد في المخالطة، ولأنْ أنفع نفسي وحدي، خير لي من أن أنفع غيري وأتضرر، فالحذر الحذر من خوادع التأويلات، وفواسد الفتاوى). اهـ.

(١) كذا في المخطوطتين، والظاهر أنه خطأ من النساخ، فإن ابن شهاب ـ وهو الزهري ـ من كبار التابعين، حدّث عن بعض الصحابة. أمّا الثوري فهو من أتباع التابعين ـ الطبقة السابعة ـ والراجح أن الراوي عن سفيان هن (أبو شهاب) كما ثبت في (شعب الإيمان) رقم (٩٤١٨)؛ و(مسند ابن الجعد) رقم (١٨٢١) عن أحمد بن يونس قال سمعتُ أبا شهاب يقول: سمعت سفيان يقول لرجل: إن دعوك أن تقرأ عليهم (قل هو الله أحد) فلا تأتهم، قال أحمد: قلتُ لأبي شهاب: من يعني؟ قال السلطان. اهـ و(أبو شهاب) هذا ـ كما في (التقريب) ٨٥١ ـ هو: عبد ربّه بن نافع الكناني الحناط ـ صدوق من الطبقة الثامنة وأخرج له البخاري ومسلم، وتوفي سنة ١٧١هـ، والله أعلم.

سمعتُ سفيان الثوري يقول لرجُل: «إن دَعَوْكَ لِتقرأ عليهم (قل هو الله أحد) فلا تأتهم». قيل لابن شهاب: من تعْنِي؟ قال: السلطان.

٢٠ ـ وأخرج الحكيم الترمذي في (نوادر الأصول) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أتاني رسول الله ﷺ وأنا أعرفُ الحزن في وجهه، فأخذ بلحيته فقال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون. أتاني جبريل فقال: إنّ أمتك [مفتتنة] بعدك بقليل من الدّهر غير كثير. قلت: ومن أين ذاك؟ قال: من قِبل قرّائهم وأمرائهم، تمنع الأمراء النّاس حقوقهم فلا يُعطونها، وتتبع القرّاء أهواء الأمراء. قُلتُ: يا جبريل فبم يسلم من يسلم منهم؟ قال: بالكفّ والصبر، إن أُعطوا الذي لهم أخَذُوهُ، وإن مُنِعُوهُ ترَكُوهُ»[1].

٢١ ـ وأخرج البيهقي عن سفيان الثوري قال: «إنّ في جهنم لجُباً تستعيذ منه جهنم كلّ يوم سبعين مرّة، أعدّهُ الله للقرّاء الزّائِرين السُّلطان»[2].

---

(١) أورده المؤلف في (الأساطين) ص٤٧ وعزاه كذلك للحكيم الترمذي ولم أجده فيه.

(٢) أخرجه ابن عبد البرّ في (جامع بيان العلم وفضله) رقم (١٠٩٧)=

٢٢ ـ وفي (طبقات الحنفيين)[١] في ترجمة أبي الحسن الصِّيْدلاني[٢] أنّ السُّلطان ملك شاه قال له: لِمَ لا تجيءُ إليّ؟ قال: «أردتُ أنْ تكون من خير الملوك حيث

= بلفظ (في جهنم وادٍ لا يسكنه إلا القرّاء الزوّارون للملوك) وكذا الغزالي في (الإحياء): ٥/ ١١٣ وعزاه شارحة الزبيدي في (الإتحاف): ٦/ ٦٩٢ للبيهقي. وفي هذا المعنى رُوي حديث ضعيف مرفوع بلفظ (إنّ في جهنم وادياً تستعيذ منه كل يوم سبعين مرة، أعدّه الله للقرّاء المرائين بأعمالهم، وإنّ أبغض الخلق إلى الله تعالى عالم السلطان) أورده المؤلف في (الأساطين) ص٣٥، وأخرجه ابن عدي في (الكامل): ١/ ٤٦٨.

(١) في النسخة (ب) (طبقات الحنفية).

(٢) كذا في المخطوطتين وهو تحريف، والصحيح ما ثبت في كتب التراجم (والأساطين) للمؤلف وهو: علي بن الحسن الصندلي، من أئمة الأحناف، مُعتزلي، كان عالماً ويعظ على عادة أهل خراسان له كتاب في (تفسير القرآن)، دخل بغداد مع السلطان (طغرل بك)، ثم عاد إلى نيسابور فتزهد وانقطع عن زيارة السلاطين، فرآه السلطان (ملك شاه) في الجامع فعاتبه، فقال قولته هذه. توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٤٨٤هـ.
انظر: الجواهر المضيئة: ١/ ٣٥٧ للقرشي؛ والأعلام للزركلي: ٤/ ٢٧٣.

تـزور العلماء، ولا أكـون من شـرِّ العلماء حيث أزُورُ الملوك».

٢٣ ـ وَرُينا عن عبد الله بن المبارك[١] [رضي الله عنه] أنّهُ بلغَهُ أنّ ابن عُليّة[٢] اتصل بالسلطان، فكتب إليه يقول:

---

(١) العالم المجاهد، أحد أعلام الإسلام، طلب العلم وهو ابن عشرين سنة، واجتهد في حفظ الحديث وأخذه عن بقايا التابعين وأكثر من الترحال إلى أن مات في طلب العلم وفي الغزو وفي التجارة والإنفاق على الإخوان في الله وتجهيزهم معه إلى الحجّ، وقلما اجتمعت هذه الخصال في أحد من علماء الأمة، مع الزهد وكثرة العبادة والشجاعة والأدب والفصاحة. توفي رحمه الله سنة ١٨١هـ، ترجمته في الحلية: ٨/ ١٦٢؛ وتاريخ بغداد: ١٠/ ١٥٢؛ والسير: ٨/ ٣٧٨.

(٢) هو العلامة الحافظ إسماعيل بن إبراهيم البصري المشهور بإبن عُليّة وهي أمّه، روى عنه الحديث أحمد بن حنبل وابن المعين وابن المديني وخلق كثير، كان فقيهاً مفتياً من أئمة الحديث، وكان موصوفاً بالدين والورع، ولمّا وُلِّي القضاء ـ وقيل الصدقات ـ لدى السلطان نَقَمَ عليه ابن المبارك ـ صديقه ـ وبعث إليه بهذه الأبيات يُعنِّفُهُ وينصحه فيها. قال الإمام الذهبي: وبدت منه هفوات خفيفة. لم تُغير رتبته إن شاء الله. توفي رحمه الله في سنة ١٩٣هـ. ترجمته في طبقات ابن سعد: ٧/ ٣٢٥؛ وتاريخ بغداد: ٦/ ٢٢٦؛ والسير: ٩/ ١٠٧.

يَا جَاعِلَ العِلْمِ لَهُ بَازِيَا يَصْطَادُأَمْوَالَ [السَّلاطِين][1]
احتلتَ للدّنيا ولذّاتِها بحِيلةٍ تَذهَبُ بالدّين
أينَ رِوَايَاتُكَ فيما مَضَى عن ابن عون وابن سيرين
[أين رواياتك فيما مضى لِتَرْكِ أبْواب السَّلاطين][2]

والأحاديث والآثار ونصوص العلماء في ذلك أكثر من أن تُحْصَى، وقد جَمَعْتُ فيه مُؤَلفاً [مُستَقِلاً]. وفي هذا القدر [هنا] كفاية. والله [تعالى] أعلم بالصّواب.



(١) في النسخة (ب) (المساكين).
(٢) زيادة من النسخة (ب). وهذه الأبيات مع قصتها مبثوثة في عديد الكتب ببعض الاختلاف. منها (الجامع) لابن عبد البرّ (١٠٩٨) و(١٠٩٩)؛ و(تاريخ بغداد): ٦/ ٢٣٦؛ و(السير): ٩/ ١١٠ و٨/ ٤١١.

فهرس الأحاديث

❊ ❊ ❊

فهرس الآثار

* * *

فهرس الأعلام المترجمين

* * *

فهرس المصادر والمراجع

- **إتحاف السادة المتقين للزبيدي**، ط : دار الكتب العلمية .

- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان للفارسي**، ط : مؤسسة الرسالة .

- **إحياء علوم الدين للغزالي**، ط : دار الكتاب العربي .

- **الأعلام** للزركلي، ط : دار العلم للملايين ـ بيروت .

- **اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية**، ط : دار الفكر .

- **بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس**، ط : القاهرة .

- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** للشوكاني ـ القاهرة .

- **تاريخ بغداد** للخطيب البغدادي، ط : القاهرة .

- **الترغيب والترهيب** للمنذري، ط: بيروت.

- **تفسير البيضاوي**، ط: القاهرة.

- **تقرير التهذيب** لابن حجر، ط: دار المعرفة.

- **تلبيس إبليس** لابن الجوزي، ط: دار الكتب العلمية.

- **التيسير بشرح الجامع الصغير** للمناوي، مكتبة الشافعي - الرياض.

- **جامع بيان العلم وفضله** لابن عبد البر، دار ابن الجوزي - السعودية.

- **الجامع لأحكام القرآن** - للقرطبي، ط: المكتبة العربية.

- **الجواهر المضية** للقرشي، ط: حيدر آباد - الهند.

- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة** للسيوطي، ط: القاهرة.

- **حلية الأولياء** لأبي نعيم، ط: دار الكتب العلمية.

- **سلسلة الأحاديث الصحيحة** للألباني، مكتبة المعارف - الرياض.

- **سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني**، مكتبة المعارف - الرياض.

- **سنن ابن ماجه**، تحقيق بشار عواد، ط: دار الجيل.

- **سنن أبي داود**، تحقيق محمد عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية.

- **سنن الترمذي**، تحقيق بشار عواد، ط: دار الغرب الإسلامي.

- **السنن الكبرى للبيهقي**، ط: دار الفكر.

- **السنن الصغرى للنسائي**، ط: دار البشائر الإسلامية - بيروت.

- **سير أعلام النبلاء للذهبي**، ط: مؤسسة الرسالة.

- **شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي**، ط: دار إحياء التراث العربي.

- **شرح النووي على مسلم**، ط: دار إحياء التراث العربي - لبنان.

- **شعب الإيمان للبيهقي**، تحقيق: بسيوني زغلول، ط: دار الكتب العلمية.

- **صحيح البخاري**، ط: دار السلام - الرياض.

- **صحيح الترغيب والترهيب**، للألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض.

- **صحيح الجامع الصغير**، للألباني، ط: المكتب الإسلامي.

- **صحيح مسلم**، ط: دار ابن حزم.

- **صفة الصفوة** لابن الجوزي، ط: دار الفكر ـ دمشق.

- **صيد الخاطر** لابن الجوزي، ط: دار الفكر ـ دمشق.

- **الضعفاء الكبير** للعقيلي، تحقيق: قلعجي، دار الكتب العلمية.

- **ضعيف ابن ماجه، للألباني، مكتب التربية لدول الخليج العربي.**

- **طبقات ابن سعد**، ط: دار صادر بيروت.

- **فتح الباري بشرح البخاري**، لابن حجر، ط: دار المعرفة ـ بيروت.

- **فردوس الأخبار**، للديلمي، تحقيق: بسيوني، دار الكتب العلمية.

- **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، للحجوي، ط: المكتبة العلمية.

- **فيض القدير شرح الجامع اليصغير** للمناوي، ط: دار الفكر.

- **كشف الخفا** للعجلوني، ط: بيروت.

- **كشف الصلصلة** للسيوطي، تحقيق، محمد عزدين، ط: عالم الكتب - بيروت.

- **الكواكب السائرة** لابن الغُزي، تحقيق: جبرائيل جبور - بيروت.

- **الآلئ المصنوعة**، للسيوطي، ط: دار الكتب العلمية.

- **مجمع الزوائد** للهيثمي، ط: مؤسسة المعارف - بيروت.

- **مختصر الموضوعات**، للذهبي، ط: مكتبة الرشد - السعودية.

- **المستدرك على الصحيحين** للحاكم، ط: دار الفكر - بيروت.

- **مسند أحمد**، ط: دار صادر والمكتب الإسلامي.

- **مسند ابن الجعد**، تحقيق: عامر حيدر، ط: مؤسسة نادر - بيروت.

- **مسند الدارمي**، تحقيق حسين أسد، ط: دار ابن حزم.

- **مشكاة المصابيح** للخطيب التبريزي، تحقيق: الألباني، ط: المكتب الإسلامي.

- **مفتاح دار السعادة** لابن القيم، ط: دار ابن عفان - السعودية.

- **المقاصد الحسنة** للسخاوي، تحقيق محمد الخت، ط: دار الكتاب العربي.

- **ما رواه الأساطين**، للسيوطي، تحقيق: أبي علي طه بو سريح، ط: دار ابن حزم.

- **نوادر الأصول**، للحكيم الترمذي، ط: دار الجيل وبيروت.

- **نظم المتناثر من الحديث المتواتر** للكتاني، ط: دار إحياء التراث العربي.

* * *

فهرس الموضوعات

* * *